الستَّار

الاسم هو الستَّار ، وهو من أحبِّ الأسماء إلى المؤمن ، الستَّار اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، وهو اسمٌ زائدٌ على الأسماء التسعة والتسعين المشهورة .

السِّتر في اللغة ما يُستر به ، وهو اسم . . وجمعه أسْتار ، وسَتَرَ الشيء أخفاه فانستر ، فعل انستر فعلٌ مطاوع من سَتَرَ . . ينْسَتِرُ . . انْسَتَرَ ، قَبل أن يُستر ، تستَّر أي تغطَّى ، السِّتر هو الحياء ، يقال : ما لفلانٍ سِتْرٌ ولا حِجْر أي لا حياء ولا عقل ، السِّتْر هو الحياء ، فلان لا يسْتتر من الله بستر ؛ أي لا يستحيي من الله بنوعٍ من الحياء ، والسِّتر هو العقل ، من كان عقله برأسه تصرَّف بحكمةٍ فحجب عن الناس مغيبته . . والسِّتارة . . ما يُسْتتَر به من شيءٍ كائناً ما كان ، وفي الحديث الشريف أن من أغلق باباً أو أرخى ستراً فقد وجب المهر ووجبت العدة .

قال أبو حنيفة وأصحابه ، قالوا : إذا خلا بها خلوة صحيحة يجب كامل المهر والعدة ، دخل بها أو لم يدخل بها ؛ لما رواه الدارقطني عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصداق** » . وقال عمر : إذا أغلق باباً وأرخى

ستراً ورأى عورةً فقد وجب الصداق وعليها العدة ولها الميراث . وعن علي : إذا أغلق باباً وأرخى ستراً ورأى عورةً فقد وجب الصداق .

فانتبهوا إلى ذلك.. إذا خطب أحدكم وقد كُتب العقد ، وزار خطيبته ، وأغلق الباب وأرخى الستار ، ثم أراد أن يتنصَّل من هذا الزواج وجب عليه المهر كاملاً ولو لم يدخل بها.. ولندقق في قول النبيّ ﷺ : « **أيُّما رجلٍ أغلق بابه على امرأةٍ ، وأرخى دونها أستاره فقد تمَّ صداقُها** »..أي وجب صداقها..

إذا عقد إنسان على امرأةٍ ولم يدخل بها وجب عليه نصف المهر ، أما إذا دخل بها فقد وجب عليه كلُّ المهر ، وكذلك إذا عقد عقده عليها وزارها وأغلق الباب وأرخى السِتر ولو لم يدخل بها وجب المهر كاملاً ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام .

فلانٌ هتك سِتر فلان.. أي أطلعه على معايبه ، والاستتار : الاختفاء ، وفي التنزيل قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [الكهف : ٩٠] .

والسَّتار في حقِّ الله تعالى كثير السَّتر لعيوب عباده ، الستَّار صيغة مبالغة ، سَتَرَ ، يَسْتُرُ ، ساتر ، ستَّار ، الستّار صيغة مبالغة أي كثير الستر ، أو شديد الستر ، أي مهما تكن الأعمال مشينة .

لله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد ، ومن العقيم الوالد ، ومن الضال الواجد ، فمن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظَيْهِ وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه .

فإذا جاء الاسم مبالغاً به ، فالمبالغة على نوعين . . كمِّيَّة ، ونوعيَّة . . أي أنَّ الله غفَّار يغفر كل الذنوب مهما كثرت ، ويغفر أكبر الذنوب ، فإذا استخدمنا صيغة المبالغة في أسماء الله الحُسنى فالمبالغة على نوعين ، مبالغة نوعٍ ، ومبالغةُ عددٍ .

الستَّار في حقِّ الله تعالى كثير السَّتر لعيوب عبادة ، فسبحان الله . . الإنسان العادي من شأنه أن يظهر القبيح ويخفي المَليح ، وقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا فقال :

« **تعوذوا بالله من ثلاث فواقر : جار سوء إن رأى خيراً كتمه ، وإن رأى شراً أذاعه ؛ وزوجة سوء إن دخلت عليها لسنتك ، وإن غبت عنها خانتك ؛ وإمام سوء إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر** » .

عن الهيثم بن عدي الطائي قال : حدثنا مجالد عن الشعبي قال : لقيني شريح فقال : يا شعبي ، عليك بنساء بني تميم ، فإني رأيت لهن عقولاً . وما رأيت من عقولهن ؟ قال :

أقبلت من جنازة ظهراً ، فمررت بدورهم ، فإذا أنا بعجوز على باب دار ، وإلى جنبها جارية كأحسن مارأيت من الجواري ، فعدلت فاستسقيت ، ومابي عطش . فقالت : أي الشراب أحب إليك ؟ فقلت : ماتيسر ، قال : ويحك ، ياجارية إيتيه بلبن ، فإني أظن الرجل غريباً ، قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة ، قلت : كذا ، ونحن جميع فلا تفرقي ، **ومارأيت من حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها** ؛ وقالت شيئاً لم أذكره : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت : ماأحب

أن يملني أصهاري . قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له ، ومن تكرهه أمنعه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء . قال : فبت ياشعبي بأنعم ليلة ، ومكثت معي حولاً لاأرى إلا ماأحب . فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار . فقلت : من هذه ؟ قالوا : فلانة ختنتك ، فسري عني ماكنت أجد ، فلما جلست أقبلت العجوز ، فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة ختنتك ، قلت : قربك الله ، قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجةٍ ، فقالت لي : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين ، إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها ، فإن ربك ريبٌ فعليك بالسوط ، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، ورضت فأحسنت الرياضة . قالت : تحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاؤوا . قال : فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية ، فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة ، وكنت لها ظالماً ، أخذ المؤذن في الإقامة بعدما صليت ركعتي الفجر ، وكنت إمام الحي ، فإذا بعقرب تدب ، فأخذت الإناء فأكفأته عليها ، ثم قلت : يازينب ، لاتحركي الإناء حتى آتي . فلو شهدتني ياشعبي ، وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها . فدعوت بالقسط والملح ، فجعلت أمغث أصبعها وأقرأ عليها بالحمد والمعوذتين .

الشاهد من هذا الكلام هو وما رأيت من حسنةٍ فانشريها ، وما رأيت من سيِّئةٍ فاستريها .

وإنّ من أرقى صفات المرأة المؤمنة أنَّها سِتِّيرة ، فالإنسان في بيته أحياناً يغضب ، وأحياناً يفتقر فلا تجد بين يديه مالاً فيأكل أخشن الطعام ، وأحياناً ينضغط من الخارج فينفجر في الداخل ، والمرأة المؤمنة لا تفضح زوجها ، لا تنشر أحواله ولا تتحدث عن أفعاله بين الناس ، لا تعطي الناس أسوأ صورة عن زوجها ، المرأة المؤمنة ستِّيرة ، يروى عنه عليه الصلاة والسلام :

« **إنّي أكره المرأة تخرج من بيتها تجر ذيلها تشكو على زوجها** » . . أكرهها . . وصح عنه ﷺ أنه قال « **لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأةٍ لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه** » .

« لاتؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » .

فالستَّار في حقِّ الله تعالى كثير الستر لعيوب عباده قال تعالى :

﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٤] .

من كمالِ ربنا عزَّ وجلَّ أنَّه يظهر الحسن ويستر القبيح ، لكن الإنسان من لؤمه يظهر القبيح ويستر الحسن ، فالمؤمن كلَّما اقترب من الله يتخلَّق بالكمالات الإلهية ، الله ستَّار ، والمؤمن ستَّار ، يستر العيوب .

فأدبُ الإسلام يدعو المؤمن إلى أن يستتر ولا يجاهر بالمعصية ،

كلُّكم يعلم أنَّ هناك عاصياً ، وأنَّ هناك فاجراً ، فالعاصي مثلاً كالذي يفطر في رمضان بينه وبين نفسه ، فمن هو الفاجر إذاً ؟ الذي يفطر في الطريق أمام الناس ، إذا جاهر المرء بالمعصية فالمجاهر فاجر ، والفاجر لا غيبة له ، لأنَّه لا يستحي من هذه المعصية فهو يذكرها للناس ، هو يُري الناس معصيته.. وقد قيل : « **إذا بُليتم بالمعاصي فاستتروا** » .

على من يقع حدَّ الرجم ؟ يقع على الزانية الفاجرة التي استطاع أربعة من الرجال أن يَرَوها وهي تزني ، أي أنَّها لا تُبالي ، فحدُّ الرجم ليس على الزانية المحصنة فحسب ، بل على الزانية المحصنة التي تمكَّن أربعةُ رجالٍ من أن يروها وهي تزني ، ما اسمها إذاً ؟ فاجرة.. فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[المائدة : ٣٣]

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ هل من فسادٍ أشدَّ من أن يزني رجل محصن له زوجة وأولاد بامرأةٍ محصنة لها زوجٌ وأولاد جهاراً حتى تمكَّن الشهود من أن يروها وهي تزني ؟ إذاً : « **إذا بُليتم بالمعاصي فاستتروا** » .

وقد نعى القرآن الكريم على الذين لا يستترون من غيرهم أو من جوارحهم فقال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾

حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت : ١٩ـ٢٤] .

قال تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس : ٦٥] .

يُروى أنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام استأجر أجيراً فرآه يغتسِلُ عُرياناً لا يستتر بستر فقال له عليه الصلاة والسلام : « **أراك لا تستحيي من ربك ، خذ أجارتك لا حاجة لنا بك** » .

بالمناسبة . . الإسلام أمر بالتستُّر في مواضع ، منها التستُّر عند الغُسل ، وعند اللقاء الزوجيّ ، وعند قضاء الحاجة .

فقد حدَّثني صديق ذهب إلى بلد شرقي من البلاد التي يؤمن أهلها بأنَّه لا إله ، كان يدرس في جامعة من أضخم الجامعات ، فدورات المياه في هذه الجامعة بهو كبير جداً يتسع لمئة دورة مياه بلا سِتر ، كلُّ الناس يقضون حاجاتهم بعضهم أمام بعض . . لكن أدب الإسلام يحتم على الإنسان أن يستتر في مواضع ، عند الغُسل ، وعند اللقاء الزوجيّ ، وعند قضاء الحاجة .

النبيُّ ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ** » [رواه أبو داود والنسائي وأحمد] .

ستَّار ، وستِّير ، فعَّال ، وفعِّيل .

فالإنسان كلما اقترب من الإيمان ازداد تستُّراً ، وكلما تفلَّت من قواعد الشرع قلَّ تستُّره ، ولقد جاءتنا مظاهر من الغرب بعيدة عن ديننا وأعرافنا وتفشَّت في بعض الناس ، فتجد مثلاً إنساناً يسافر من بلد إلى بلد آخر ببنطال قصير ، وممكن أن يخلع معظم ثيابه ويقوم بعمل ما .

وقد ورد في الحديث الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ يقول :

« كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ : يَا فُلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ » . [صحيح البخاري] .

أليس في بيوت المسلمين الفتيات الشابَّات يقمن بثيابٍ رقيقة أمام إخوتهن ، وهناك إخوةٌ يقومون بثياب داخليّة أمام أخواتِهِمْ ، وأمام أمَّهاتهم وآبائهمْ ، هذا التبذُّل في البيت فيما بين الإخوة ، وفيما بين الأخوات ، وفيما بين الإخوة والأخوات ، وفيما بين الآباء والأبناء ، والأبناء والآباء ، والبنات والأمَّهات ، هذا مخالفٌ للشرع ، كلَّما ازداد إيمانك ازداد التستُّر ، وكلَّما بعُد المرءُ عن الإيمان تفلَّت من السِّتر ، وإنَّ من المجون والجنون أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح فيقول : يا فلان عمِلت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربُّه ويكشف هو سِتر الله عليه .

من أخطر الأعمال أن يُحدِّث الناس بعضهم بعضاً بما لا ينبغي لهم

أن يتحدثوا به ، الأسرار الزوجيَّة أسرار مصونة لا ينبغي أن تشيع ، في أكثر من مجتمع يتحدَّث الأزواج عن زوجاتهم وعن لقاءاتهم ، وتتحدَّث الزوجات عن أزواجهِنَّ وعن لقاءاتهِنَّ ، وهذا من أكبر المعاصي ، لأنَّ هذا ينبغي أن يجب سراً بين الزوجين .

ذكرت سابقاً أنَّ امرأةً تعمل في الفن في بلدٍ غربيّ وهي امرأة فاسقة فاجرة ، لكنَّها تكلَّمت بصدق حين سُئِلت عن شعورها وهي على خشبة المسرح ـ وقد حفظت كلامها لدقته البالغة ـ قالت : إنَّ شعوري شعور الخزي والعار ، وهو شعور كلِّ امرأةٍ تعرض مفاتنها على الناس ، إنَّ الحبَّ يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غرفٍ مُغلَقة .

فموضوع السِّتر إذاً ؛ أنَّه كلما تفلَّت الناس ، وكلَّما اقتربوا من طباع الغرب وعاداته ، وكلَّما تغذَّوا بالثقافات الغربية التي تأتيهم عبر الصحون التي على أسطح المنازل ، وكلَّما تفلَّتوا من ثيابهم في بيوتهم ، وكلَّما تفلَّت الإنسان من ثيابه كان هناك احتمال الانزلاق ، والذي لم نكن نعرفُهُ إطلاقاً وبدأنا نعرفه ، وكانت بلادنا والحمد لله لا تعرف ما يسمَّى بزنى المحارم ، أي أخٌ وأخته ، وأبٌ وابنته ، وأمٌّ وابنها ، لكن بدأت تظهر هذه الحالات ، والكلام مؤلمٌ جداً بدأت تظهر هذه الحالات في بلادنا ، فحالات زنى المحارم أصبحت موجودة ، فحينما يأمر الشرع الحنيف ألا تظهر امرأةٌ على أُختها بملابس فوق الركبة هناك حكمةٌ بالغة ، حتى بين الأخوات ، حتى بين البنت وأمِّها ، هناك حدود ، أما إذا رفعنا الحدود فربَّما انزلق الناس إلى ما لا يُحتمل .

حدثني رجل وهو يبكي.. فقلت له : خيراً إن شاء الله ! قال : لي ابنةٌ في البيت ، فقد تركت بيت زوجها لمشكلةٍ بينها وبينه ، وابني في البيت أيضاً وهناك مشكلةٌ بينه وبين امرأته ، فجأةً بدأت ابنتي تتألَّم من بطنها ، فأخذتها أمُّها إلى الطبيب فطلب منها الطبيب فحصاً للحمل ، فإذا هي حامل ، وظهر أنَّ الحمل من أخيها وهي متزوِّجة وأخوها كذلك ، وحينما علم المسؤولون بالأمر أُودِعَ الابن في السجن ، والبنت في السجن ، فهذه مصيبةٌ من أكبر المصائب.. إذا كان هناك تفلُّت ، وتكشُّف ، فالشرع ليس قيوداً لحريَّة الإنسان ، ولكنَّه ضمانٌ لسلامته ، تماماً كما لو كنت في مكان ورأيت لوحةً كتب عليها انتبه حقل ألغام ، فهل تعدُّ هذه اللوحة تقييداً لحريَّتك ، أم ضماناً لسلامتك ؟ إنَّها ضمانٌ لسلامتك ، أنا لا أتكلَّم من فراغ فبحكم عملي في الدعوة إلى الله تأتيني قضايا كثيرة ، قضايا زنى المحارم وردت بشكلٍ غير معقول ، بسبب التفلُّت .

قد ذكرت ذات مرة أنَّ أحد خطباء دمشق ألقى من على منبر الجمعة خطبةً ذكر فيها ما يلي قال : جاءني رجل وحدَّثني بمشكلةٍ وقعت في بيته ورجاني أن أعرضها على الناس من على المِنبر لأنَّها وقعت معه ، وذلك للعظة والعبرة ، وليأخذ الآباء حِذْرَهُمْ . فما الذي حدث ؟إنَّه كان يتابع بعض المحطَّات الغربية من خلال هذا الصحن المشؤوم ، فظهر منظرٌ لا يُحتمل فأدار المؤشر إلى محطةٍ أُخرى.. الابن حفِظ رقم المحطة.. ثم يقول : وفي الساعة الثانية ليلاً سمعت أنيناً فاستيقظت فإذا ابني فوق ابنتي وابني الآخر فوق ابنتي الأُخرى في غرفة الجلوس ، وقال للخطيب : هذا حدث معي ، فاذكرْ قصَّتي هذه من فوق المنبر لعل الآباء يعتبرون .

أقول هذا الكلام لأنَّ هناك أخطاراً بدأت تهدد المسلمين ، فأكبر شيء يجر الإنسان إلى المعاصي موضوع النساء ، وموضوع المال وقد أكثرت من ذكر هذا والتذكير به من قبل في أبحاث عدة .

وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن رسول الله ﷺ قال :

« **كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ : يَا فُلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ** » . [رواه مسلم] .

فإذا تفضَّلَ الله عزَّ وجلَّ بستره على عبدٍ في الدنيا فإنَّ هذا السِّتر يستمر إلى يوم القيامة .

وروى أبو داود قال :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ عَائِذُ اللهِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ مِنَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : « **تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً ، وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، قَالَ : فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ** » [رواه أبو داود] .

لو أنَّ إنساناً اقترف معصية ليس مكلَّفاً إطلاقاً أن يبلِّغ عن هذه المعصية أحداً ، فإذا لم يكتشف أحد هذا الذنب فمعنى ذلك أنَّ الله

أسبل عليه ستره ، وإنّه ليقترفُ معصيةً كبيرة حينما يفضح نفسه .

عن الفضل بن العباس قال جاءني رسول الله ﷺ فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه قال خذ بيدي يافضل فأخذت بيده حتى انتهى إلى المنبر فجلس عليه ثم قال صح في الناس فصحت في الناس فاجتمع ناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياأيها الناس إني قد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ألا! ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن كنت أخذت منه مالاً فليستقد منه ولايقولن رجل : إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ ، إلا! وإن الشحناء ليست من طبيعتي ولامن شأني ، ألا وإن أحبكم إليَّ من أخذ حقاً إن كان له ، أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس ، ألا! وإني لأرى ذلك مغنياني حتى أقوم فيكم مراراً ثم نزل فصلى الظهر ثم عاد إلى المنبر فعاد لمقالته في الشحناء أو غيرها ، ثم قال : ياأيها الناس! من كان عنده شيء فليرده ولا يقل فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة فقام إليه رجل فقال يارسول الله إن لي عندك ثلاثة دراهم قال أما إنا لانكذب قائلاً ولا نستحلفه فبم صارت لك عندي قال تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتني أن أدفعها إليه فقال ادفعها يافضل ثم قام إليه رجل آخر قال عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله قال ولم غللتها قال كنت محتاجاً إليها قال خذها يافضل ثم قال ياأيها الناس من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدع له فقام رجل فقال يارسول الله والله إني لكذاب وإني لمنافق وإني لنؤوم قال اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وأذهب عنه النوم إذا أراد ثم قام آخر فقال يارسول الله إني لكذاب وإني لمنافق ومامن شيء من الأشياء إلا وقد أتيته فقال عمر ياهذا فضحت نفسك قال مه يا ابن

الخطاب فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة ثم قال اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وصير أمره إلى خير فكلمهم عمر بكلمة فقال رسول الله ﷺ عمر معي وأنا معه والحق بعدي مع عمر حيث كان .

[قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى بنحوه] وقال في آخره : فقام رجل فقال : يارسول الله! إني رجل جبان كثير النوم ، قال : فدعى له ، قال الفضل : فلقد رأيته أشجعنا وأقلنا نوماً قال ثم أتى بيت عائشة قال للنساء مثلما قال للرجال ، ثم قال : ومن غلب عليه شيء فيسألنا ندع له ، قال : فأومأت امرأة إلى لسانها ، قال فدعى لها ، قال : فلربما قالت لي : يا عائشة أحسني صلاتك . [وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة ، وبقية رجال أبي يعلى ثقات وفي إسناد الطبري من لم أعرفهم] .

فإذا اقترف الإنسان ذنباً فليس مكلّفاً شرعاً أن يُبلِّغ عن نفسه ، ما دام لم يدرِ به أحد ؛ ومعنى ذلك أنَّ الله أَسبل عليه ستره ، فإذا فضح نفسه كأنَّه ارتكب معصيةً جديدة.. هذا حكم شرعي ، أنت لست مكلّفاً أن تفضح نفسك ما دام الله قد سترك .

وهذه معلومة أخرى : إنْ لم تكن مِمَّن يُكلَّف بتنفيذ أمر الله ، فأنت إنسانٌ عاديٌّ لست كالإمام ، فإذا اقترف إنسان آخر معصيةً أمامك لست مكلّفاً أن تُبلِّغ عنه ، أما الإمام فإذا بلغه أحد أنَّه قد انتُهك حدٌّ من حدود الله فلا عفا الله عنه إن عفا ، فالإمام له موقفه ، والمؤمن له موقف آخر ، فالمؤمن ليس مكلّفاً أن يفضح نفسه ولا أن يفضح غيره ، أما الإمام فإذا بلغه عن أحد أنَّه قد اقترف ما يوجب الحد فلا عفا الله عنه إن عفا .

لذلك ورد في البخاري :

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِماً أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » [رواه البخاري] .

وهذا الذي بلَّغ النبي عن إنسان زنى ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **ياهذال! لو سترته بثوبك كان خيراً لك** » . [رواه أحمد]

فهذا حكم شرعي.. ليس القصد أن تقطَّع الأيدي ولا أن يُجلد الناس ، فالقصد أن تكون الحدودُ الشرعيّة رادعةً للمسلمين ، لذلك حينما يطالب الشرع بأربعة شهود رأوا حالة الزنى رأي العين ، هذا شرط شبه مستحيل وهو شرط تعجيزي . الهدف منه أن يكون هذا الحدُّ رادعاً .

ومما يدلُّ على محبَّة الله الستَّار إخفاء الذنوب والمعاصي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] .

أي أنَّ هذا الذي يحبُّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا له عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة.. ماذا فعل ؟ لم يفعل شيئاً إلا أنَّه تمنَّى أن تشيع هذه الفاحشة ، معنى ذلك أنَّه في خندق المنافقين ، لو كان في خندق المؤمنين لآلمه هذا الأمر أيّما إيلام ، فلمجرَّد أنَّه رضي أو

تمنَّى أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا معنى ذلك أنَّه ليس مؤمناً.. فقد قال تعالى :

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٠].

قيل في هذه الآية : « **هذه الآية تأديبٌ لمن سمع شيئاً من الكلام السيىء ، فقام بذهنه منه شيءٌ وتكلم به** » .

إن سمعت قصة لا تليق بمؤمن فلا ينبغي لك أن تروِّجها ، ولا ينبغي لأحد أن ينقلها ، ولا ينبغي أن يفرح بها ، إن فرحت بها فلست مؤمناً ، وإن روجتها فقد سببت فتنة لا يعلم مداها إلا الله ، ومتى تنتهي.. ففي بعض الأحيان خطأ بسيط قد ينتهي بجريمة .

أنا ذكرت لكم نقلاً عن أحد مخابر التحليل أنَّ إنساناً استراب بابنته ، واعتراه شك نحوها ، فطلب منها إجراء تحليل . فالموظف في هذا المخبر وقعت منه العيِّنة فانكسرت فخاف من سيده فكتب نتيجة التحليل حمل إيجابي ، فلما جاء الأب مساءً وتلقَّى النتيجة أنَّها إيجابيَّة فذهب وقتل ابنته مع أن النتيجة غير صحيحة والبنت بريئة.. فهؤلاء الذين يسمعون قصةً لعلها كاذبة ، « إن قذف المحصنة ليهدم عمل مئة سنة »[1] ، ولعلها قصة كاذبة ، إذا نقلها وروَّجها فما أدراك أن تقع جريمة من أجلها ، فقضايا الأعراض خطيرة جداً ، فلذلك هؤلاء الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات عليهم أن يجلدوا ثمانين جلدة ، وأن يفقدوا حقَّهم المدني ، فلا تُقْبَل شهادتهم أبداً لعظم حقِّ المرأة المؤمنة عند الله .

---

(١) رواه البزار والطبراني والحاكم بسند ضعيف من حديث حذيفة رضي الله عنه .

هناك معنىً آخر ذكره بعض العلماء ؛ وهو أنَّ الذي يفعل شيئاً قبيحاً ويحدِّث الناس به فكأنه أراد أن تفشو الفاحشة في الذين آمنوا ، ألم تسمعوا بالقول : رحم الله عبداً جبَّ الغيبة عن نفسه .

وبعد . . . فهذا معنى آخر : إنسان فعل فاحشة ، والفاحشة انتقلت وشاعت وسرت بين الناس ، ما الذي حصل ؟ إن هذا العمل القبيح شاع بين الناس ، وكلما شاعت الفواحش استمرأها الناس ، وأقبلوا عليها ولم يروا بها شيئاً خطيراً .

عَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **لا تُؤْذُوا عِبَادَ اللهِ ، وَلا تُعَيِّرُوهُمْ ، وَلا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ** » [مسند الإمام أحمد] .

هناك أشخاص ـ والعياذ بالله ـ همُّهم تتبع العورات ، قنص الزلاَّت ، همُّهم أن يصطادوا في الماء العكر ، أن يبحثوا عن فضيحةٍ فيشيعوها ، هؤلاء يتتبعون عورات الناس . . من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه في عقر داره .

وقد قال عليه الصلاة والسلام حينما أمر أن يستر الإنسان ذنبه ، كما في حديث أَبِي الْيَسَرِ قَالَ : أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْراً ، فَقُلْتُ : إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْراً أَطْيَبَ مِنْهُ ، فَدَخَلَتْ مَعِي فِي الْبَيْتِ ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا ، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ : اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلا تُخْبِرْ أَحَداً ، فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلا تُخْبِرْ أَحَداً ، فَلَمْ أَصْبِرْ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « **أَخَلَفْتَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا** » ، حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلا تِلْكَ السَّاعَةَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ

أَهْلِ النَّارِ ، قَالَ : وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلاً حَتَّى أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سنن الترمذي] .

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِيَ ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي** » ، وَقَالَ عُثْمَانُ : « **اللَّهم استر عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي** » [سنن أبي داود] .

وإني لأعتقد أن المؤمن الصافي حينما يسمع قصة ويكتمها يشعر بسعادةٍ لا يعلمها إلا الله ، فالنفس تميل للفضائح ، الإنسان يميل إلى أن يُضحك الناس فيقول : هل سمعتم فلاناً ماذا فعل ؟ هل عرفتم لماذا طلق زوجته ؟ هل عرفتم فلاناً عندما صاحب فلاناً كيف خانهُ مع زوجته ؟ هذه قصص يراها مرضى القلوب ممتعة ، ويحب الناس أن يروووها ويتحدثوا بها في مجالسهم ، دائماً التكليف يتناقض مع طبع الإنسان ، لكنَّ الفطرة تتوافق مع التكليف ، عندما ينفذ الإنسان أمر الله عزَّ وجلَّ يشعر في البداية بمجاهدة ، أما حينما ينتصر على نفسه فإن ترتاح . . فالتكاليف سمَّاها الله تكاليف لأنها ذات كُلفة ، أما الأعمال الكاملة والصالحة فهي تتوافق مع الفطرة ، فالتكاليف تتناقض في البداية مع الطبع المتعلِّق بالجسم ، وتتوافق في النهاية مع الفطرة المتعلقة بالنفس ، لذلك المستقيم مرتاحةٌ نفسه لعل جسمه يتعب أما نفسه فمرتاحة .

من الأدعية المتعلِّقة باسم الستار : اللهمَّ! أنت الحليم الستار ، وأنت عالم الغيوب والأسرار ، أمدُّ إليك يدي تحت ستار الليل وقد مدَّ الليل أستاره ومددتَ لعبادك يَد الحليم الغفار ، فاستر اللهمَّ عورتي ، وامحُ حوْبتي ، وآمن روعتي ، وشدَّ من عزيمتي ، فإني أستحيي منك ، ياغفار الذنوب! وستار العيوب! بضعفي أمام قوتك ، وعجزي أمام قدرتك ، أسألك العفو والصفح ، والمغفرة والرضوان ياذا الجلال والإكرام .

أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن يكون لنا من هذا الاسم (الستار) مبدأً وأن نطبِّق هذا المبدأ « **طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس** » .

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ** » [سنن الترمذي] .

قال ﷺ : « **من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة** » .

إن موضوعَ الستر أحد أخلاق المؤمن الأساسية ، والله عزَّ وجلَّ هو الستار ، فإذا تاب العبد توبةً نصوحاً أنسى الله حافظيه والملائكة وبقاع الأرض كلَّها خطاياه وذنوبه . . فالله عزَّ وجلَّ من شأنه أن يظهر الحسن ويخفي القبيح ، والإنسان المؤمن يتخلَّق بكمالات الله ، ويقتدي برسول الله ﷺ ، والإنسان الكافر والعاصي يبحث عن العيوب ويُخفي الصفات الطيِّبة في غيره ، فهو قنَّاص ، فحينما يعثر على خطيئة كأنَّه عثر على كنزٍ ثمين فيأخذها ويفضح نفسه أو غيره بها وينشرها في الناس .

فأنت مؤمن بمعنى أنَّك ستَّار ، مؤمن تستُر على إخوتك

أخطاءهم ، حتى النصيحة إن كانت أمام ملأ كانت فضيحة ، لا تكون النصيحة نصيحةً إلا إذا كانت بينك وبين أخيك.. فإذا أحببت أن تنصح يجب أن تختار الوقت المناسب والمكان المناسب ، أما إذا نصح الناصح أمام ملأٍ فربما انقلبت النصيحة فضيحة وابتعد عن اسم الستَّار .

فأحياناً يخطب شاب فتاة ثم تفسخ هذه الخطبة ، فتجد معظم الناس يتكلَّمون علىٰ أشياء كانت وأشياء لم تكن حتى يسوغوا انسحابهم من هذه الخطبة ، ما كان ينقصهم لو قالوا كلاماً موجزاً : ليس هناك من نصيب ، واللهِ ؛ هم أحسن منا ولكن لا يوجد نصيب لا تدخل في الأعراض والأخطاء .

فكلَّما ارتقى الإنسان في مراقي الإيمان يُظهر الحسن ويُخفي القبيح ، وكلّما هبط يُظهر القبيح ويُخفي الحسن ، ودائماً وأبداً أوْدِعُوا أذهانكم هذا القول : « **تخلَّقوا بكمالات الله** » الله عزَّ وجلَّ ستَّار ، وستَّار صيغة مبالغة تعني أنَّه كثير الستر نوعاً وكمًّا ، وكلَّما كنت أقرب إلى الله كنت أكثر سِتراً على إخوانك .

* * *